

الباب الأول
في ذكر من تأمر على
البحرين
(من بعد الهجرة النبوية
إلى أن آلت إلى آل خليفة)

اعلم أنه تداول ملك البحرين ملوك وأمم كثيرة وأقرب من بلغنا أخبارهم من ملوكها قبل الإسلام هم الفرس . وقد كان بها خلق كثير من عبد القيس وبكر بن وائل . وفى باديتها تميم مقيمون وكان بها من قبل الفرس المنذر بن ساوى بن عبد الله بن يزيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وعبد الله بن زيد المذكور هو الأسبذى نسبة إلى قرية بهجر أما كانت سنة ثمان من الهجرة وجه الرسول ﷺ (العلاء) واسمه عبد الله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر بن عوف بن مالك بن الخزرج بن إياد بن الصدف الحضرمى وكان جده سكن مكة المشرفة وحالف بنى عبد شمس بن عبد مناف بن قصى . وجهه إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الإسلام أو إلى الجزية وكتب معه إلى المنذر بن ساوى وإلى سبيخت «مرزبان هجر»^(١) يدعوهم إلى الإسلام أو إلى الجزية فأسلما وأسلم معهما جميع العرب حتى أهل جزيرة أورال وأسلم أيضاً بعض الأعاجم . فأما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء بن الحضرمى وكتب بينهم كتاباً هذه صورته (بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرمى أهل البحرين صالحهم على أن يكفونا العمل ويقاسمونا الثمر فمن لا يفى بهذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) وأما جزية الرءوس فإنه

(١) يروى أن مرزبان هجر (أى أميرها) لما ذهب إلى المدينة المنورة بعد إسلامه فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه صحب معه منها فسيل نخل تبركاً بصاحبها وأتى به وغرسه فى جزيرة البحرين ونسب ذلك النخل له وسمى (نخل المرزبان) وهو أجود تمر البحرين كما تقدم فى الحالة الاقتصادية . اهـ مؤلف .

أخذ لها من كل حالم ديناراً. وقيل أن رسول الله ﷺ وجه العلاء حين وجه رسله إلى الملوك سنة ست من الهجرة.

وروى عن العلاء أنه قال بعثني رسول الله ﷺ إلى البحرين أو قال هجر وكنت أتى (الحائط بين الأخوة) قد أسلم بعضهم فأخذ من المسلم العسر ومن المشرك الخراج وقال قتادة لم يكن بالبحرين قتال ولكن بعضهم أسلم وبعضهم صالح العلاء على أنصاف الحب والتمر. وقال سعيد بن المسيب أخذ رسول الله ﷺ الجزية من مجوس هجر وأخذها عمر من مجوس فارس وأخذها عثمان من بربر.

وبعث العلاء إلى رسول الله ﷺ مالا من البحر قدره (٨٠) ألفاً أتاه أكثر منه قبله ولا بعده وأعطى منه العباس عمه: قالوا وعزل رسول الله ﷺ العلاء وولى على البحرين إبان بن سعيد بن العاص بن أمية. وقيل أن العلاء كان على ناحية من البحرين منها القطيف. وإبان على ناحية فيها الخط والأول أثبت. ثم مات المنذر بن ساوة بعد وفاة النبي ﷺ بقليل وارتد من البحرين من ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة مع الحطم وهو شريح بن ضبيعة بن عمرو بن مرثد أحد بني قيس بن ثعلبة وارتد كل من بالبحرين من ربيعة حتى أهل (جزيرة البحرين) ما خلا الجارود بن بشر بن عمرو بن المعلى واسمه حنش فإنه رد قومه إلى الإسلام (وهو الذى أسلم ووفد على النبي ﷺ فلما رجع إلى قومه دعاهم إلى الإسلام فأسلموا) فلما توفى النبي ﷺ ارتدوا وقالوا لو كان نبياً ما مات فقال لهم الجارود تعلمون أن لله أنبياء من قبله ولم تروهم وتعلمون أنهم ماتوا ومحمد ﷺ قد مات وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فأسلموا وثبتوا على إسلامهم وأمروا عليهم المنذر بن

النعمان بن المنذر المغرور واجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة إلا الجارود ومن تبعه وخرج الحطم بن ضبيعة أخو بنى قيس بن ثعلبة فى بكر بن وائل فاجتمع إليه كثير من المرتدين وكثير ممن لم يزل مشركاً حتى نزل القطيف وهجر واستغوى من بهما وبعث بعثاً إلى (دارين . وإلى جواثا فحصروا المسلمين واشتد الحصر على من بهما وتقاتلوا معهم قتالا شديداً. ثم إن المسلمين لجأوا إلى حصن جواثا فحاصروهم فيه عدوهم شهر. وفى ذلك يقول عبد الله بن حذف بن عبد الله بن عوف بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن بكر ابن كلاب الكلابى .

ألا أبلغ أبا بكر ألوكاً وفتيان المدينة أجمعين
فهل لك فى شباب منك أمسوا أسارى فى جواثا محاصرين
توكلنا على الرحمن أنا وجدنا النصر للمتوكلين
وقلنا قد رضينا الله ربا وبالإسلام ديناً قد رضينا

فبعث أبو بكر رضى الله عنه العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه لقتال أهل الردة بالبحرين ومعه جموع من المسلمين فتزل هجر وبعث إلى الجارود أن ينزل بعبد القيس (الحطم بن ضبيعة) وخندق العلاء والمسلمون على أنفسهم وقاتلوا المرتدين وكانوا يتراجعون القتال ويرجعون إلى خندقهم فكانوا كذلك شهراً فسمعوا فى بعض الليالى ضوضاء شديدة فى المشركين فبعثوا من يأتيهم بالخبر فجاءهم بأن القوم سكارى فبيتوهم ووضعوا السيوف فيهم حتى قتلوا الحطم وفر القوم هرباً واقتحموا الخندق فمن بين متردد وناج ومقتول ومأسور وأبادوا القوم وكفى الله شرهم وقسموا الغنائم . وكان الجارود فى أيام الحصار والقتال أسره قوم من بكر بن وائل فكتب إلى المسلمين أن هؤلاء القوم

الذين أنا فى أسرهم ضباع بالليل أسود بالنهـار فقال العلاء من يدلنا عليهم فقال عبد الله بن حـدف الكلابى أنا. فلما اقترب منهم أخذوه فصاح وكانت أمه عجيلة فصاح يا أبجراه فقال الأبجر من أنت قال ابن أمتك عبد الله حـدف قال خلوه ويحك مالك قال خرجت من الجهد فأطعمونى شيئاً وقال إنى لا أحسب أنك جيش ابن أخت القوم الليلة لإخوانك. ثم أقبلوا على شرابهم وغفلوا عنه فهرب إلى العلاء. فبيـتـهم العلاء فكانت هزيمتهم. قالوا وكان المنذر بن النعمان يسمى الغرور فلما ظهر المسلمون قال لست بالغرور ولكنى المغرور ولحق هو. وفـل ربيعة بالخط فأتاها العلاء وفتحها وقتل المنذر معهم وقيل بل قتل المنذر يوم جـواثا وقيل بل استأمن ثم هرب فلحق فقتل^(١) وكان العلاء قد كتب إلى أبى بكر يستمده فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة يأمره بالنهوض إليه فقدم عليه وقد قتل الحطـم سنة (١١) ثم أتاه كتاب أبى بكر بالشخوص إلى العراق فشخص من البحرين سنة (١٢ هـ).

ثم لما قتل الحطـم مع قومه وهم سكارى وانتصر المسلمون ندب العلاء الناس إلى دارين (صوابه إلى جزيرة البحرين كما سيأتى) وقال لهم قدارا كم الله من آياته فى البر لتعتبروا بها فى البحر فانهمضوا إلى عدوكم واستعرضوا البحر. وارتحل وارتحلوا وكان بينهم وبين محل عدوهم البحر فاقتحموه على

(١) وهو الذى كان قد تولى الملك بعد عمه الأسود بن المنذر سنة (١٢ هـ ٦٣٤ م) وهو المنذر الخامس الملقب بالغرور واستمر على ملك الحيرة إلى أن قتل بالبحرين يوم جـواثا وهو آخر الملوك اللخمية الذين كانوا عمالا للأكاسرة على عرب العراق. ثم أتى بعد المنذر المذكور خالد بن الوليد تخفق فوق رأسه راية الإسلام فتغيرت البلاد وتخلصت من ظلم الظالمين وجور الجائرين وفساد المفسدين والأيام دول (وتلك الأيام نداولها بين الناس) ١ هـ مؤلف.

الخليل والإبل والحمير وفيهم الراجل ودعى ودعوا وكان من دعائهم يا أرحم
الراحمين يا كريم يا حليم يا أحد يا صمد يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت يا
ربنا. فاجتازوا ذلك الخليج بإذن الله يمشون على مثل رمل فوقها ما يغمر
أخفاف الإبل وبين الساحل ودارين يوم وليلة.

(صوابه بين الساحل وجزيرة البحرين كم ستره)

فالتقوا مع عدوهم واقتتلوا قتالا شديداً فظفروا المسلمون وانهزم
المشركون وأكثر المسلمون فيهم القتل فما تركوا بها مخبراً وغنموا وسبقوا فلما
فرغوا رجعوا حتى عبروا كما جاءوا وضرب الإسلام بجراحه فيها. وكتب
العلاء إلى أبى بكر رضى الله عنه يعرفه هزيمة المرتدين وقتل الحطم. ولما
قسمت الغنيمة كان للفارس ستة آلاف وللراجل ألفان. وكان مع المسلمين
راهب من أهل هجر فأسلم فقبل له ما حملك على الإسلام قال ثلاثة أشياء
خشيت أن يمسخني الله بعدها. فيض في الرمال. وتمهيد ثبج البحر. ودعاء
سمعته في عسكرهم في الهواء سحراً (اللهم أنت الرحمن الرحيم لا إله غيرك
البدیع فليس قبلك شيء والدائم غير الغافل الحى الذى لا يموت وخالق ما
يرى وما لا يرى وكل يوم أنت فى شأن علمت كل شيء بغير معلم) فعلمت
أن القوم لم يعانون بالملائكة الأوهم على حق فكان أصحاب النبى ﷺ
يسمعون هذا منه بعد.

والعلاء بن الحضرمي صحابي مشهور بالكرامة التامة وكان مجاب
الدعوة وكان له فى هذه الغزوة آثار محمودة وكرامات كثيرة منها أنهم سلكوا
مغارة وعطشوا عطشاً شديداً حتى خافوا الهلاك فنزل العلاء وصلى ركعتين ثم
قال يا حليم يا عليم يا على يا عظيم اسقنا فجاءت سحابة كأنها جناح طائر

فقمقمت عليهم وأمطرت حتى ملأوا الآنية وسقوا الركاب قال الراوى ثم انطلقنا حتى أتينا على خليج من البحر ما خيض فيه قبل ذلك فلم نجد سفناً وكان المرتدون قد أحرقوا السفن فصلى العلاء ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا على يا عظيم أجزنا. ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال جوزوا بسم الله. قال أبو هريرة وكان مع القوم فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خوف ولا حافر وكان الجيش أربعة آلاف: وقال إبراهيم بن أبي حبيبة حبس لهم البحر حتى خاضوا إليهم وجازه العلاء وأصحابه مشياً على أرجلهم وكانت تجرى فيه السفن قبل. وفي ذلك يقول عفيف بن المنذر.

ألم تر أن الله ذلل بحره وأنزل بالكفار إحدى الجلائل
دعون الذى شق البحار فجاءنا يا عجب من فلق البحار الأوائل

والذى يستنتج من الروايات أن التى عبروا إليها هى (جزيرة البحرين) لا دارين لأن دخول الجزيرة هو الذى يحتاجون فيه إلى السفن لأن بين جزيرة البحرين وبين الساحل الذى كانت الصحابة فيه نحو مسيرة يوم وليلة للراجل لو أمكن المشى. وأما بين دارين والساحل فنحو ساعة ونصف للراجل ولا يحتاج فيه إلى خوض لأن البحر إذا جزر ظهرت الأرض وأمكن الوصول إليها ببرزخ متصل بينهما بدون خوض لا سيما والمد والجزر يتكرران مرتين فى اليوم والليلة كما هو معلوم عند الجميع. لا سيما وأن مع الجيش جملة من أهل دارين وهم أدرى بطرق ديارهم فلو كان العبور إلى دارين لتريثوا إلى حين وانحسار الماء عن الأرض. ولما احتاجوا لمشقة العبور. ولما كان لصلاة العلاء ودعائه كبير فائدة للمضايقة وأهل البلدة معه. فيترجح أنهم خاضوا البحر إلى جزيرة البحرين. وإن فى ذلك الكرامة التامة لا سيما والعلاء

مجاب الدعوة ومشهور بها فيكون دخولهم دارين بعد ذلك جمعاً بين الروايتين . وقد ذكر أهل السير أن العلاء فتح (السابورو دارين) في خلافة عمر عنوة بالسيف وهذا مما يؤكد أن المقصود بخوض البحر هو العبور إلى جزيرة البحرين . وأيضاً فقد قال صاحب القاموس وصاحب تاج العروس وابن حجر في الإصابة أن العلاء خاض البحر بكلمات قالها . وأيضاً مما يؤكد ذلك قول الراهب الذي أسلم أنه لم يسلم إلا لأمور ثلاثة ثانيها هو خوض البحر وكان خليجاً ومحال خوضه بدون كرامة فلما رأى أن الصحابة قد خاضوا عرف أنهم على الحق وأسلم والراهب هو من أهل هجر وهو يعلم علم اليقين بأن هذا البحر متعذر خوضه وهو أدرى بوطنه . وأيضاً فقول الصحابة أتينا على خليج ما خفيض فيه قبل فهذا أرجح للتأكيد لأن دارين شبه جزيرة والناس ذاهبون وآتون بين الساحل ودارين ليلاً ونهاراً والأشغال متصلة بين الجانبين فكل هذه الدلائل ترجح أن الخوض هو إلى جزيرة البحرين . ولأن أكثر الرواة لم يعينوا القصد إلى دارين بل يقولوا أتينا على خليج من البحر ما خفيض فيه قبل فاقتحمه العلاء وأصحابه بكلمات قالها . (وذكر ياقوت في معجمه أن هذه صفة أوائل أشهر مدن البحرين اليوم ولعل اسمها أوائل ودارين) فقول ياقوت هذا هو استشهاد لما حققناه وترجيح لما قلناه بأن الخوض هو إلى جزيرة البحرين . والله أعلم .

وبعد هذه الوقائع تحصن المكعبر الفارسي صاحب كسرى الذي وجهه لقتال بنى تميم حين عرضوا لعيه (بالزارة) فلم يقدر عليهم وانضم إليه مجوس كانوا تجمعوا بالقطيف وامتنعوا من أداء الجزية فأقام العلاء على الزارة فلم يفتحها في خلافة أبي بكر وفتحها في خلافة عمر رضى الله عنهما .

وقتل المكعبر وسمى المكعبر لأنه كان يكعبر الأيدى فلما قتل قيل ما زال يكعبر حتى كعبر فسمى المكعبر وكان الذى قتله البراء بن مالك الأنصارى أخو أنس بن مالك . وفتح العلاء السابور ودارين فى خلافة عمر عنوة بالسيف .

وكان لما توفى رسول الله ﷺ أخرج أبان بن سعيد بن العاص من البحرين فأتى المدينة المنورة . فبعد محاربة أهل الردة طلب أهل البحرين من أبى بكر أن يرد العلاء عليهم ففعل . فيقال أن العلاء ظل والياً عليهم إلى أن توفى سنة (٢١ هـ) فولى عمر مكانه أبا هريرة الدوسى ويقال أن عمر ولى أبا هريرة قبل موت العلاء فأتى العلاء (توج) من أرض فارس وعزم على المقام بها ثم رجع إلى البحرين فأقام هناك حتى توفى فكان أبو هريرة يقول دفنا العلاء ثم احتجنا إلى رفع لبنة فرفعناه فلم نجد العلاء فى اللحد . وقال أو مخنف كتب عمر بن الخطاب إلى العلاء بن الحضرمى يستقدمه وولى عثمان بن أبى العاص البحرين مكانه وعمان فلما قدم العلاء المدينة ولأه البصرة مكان عتبة بن غزوان فلم يصل إليها حتى مات ودفن فى طريق البصرة على ساحل البحر وهو فى موضع يقال له اليوم (العدان) وقبره مشهور ومعروف فى لسان العوام (أبو على) اسم للقبر واسم للبقعة كلها وهو فى طريق الذاهبين إلى الكويت^(١) ثم إن عمر ولى قدامة بن مظعون الجمحى جباية البحرين وولى أبا هريرة الصلاة والأحداث . ثم عزل قدامة وحده على شرب الخمر . وولى أبا هريرة الجباية مع الأحداث . ثم عزله وقاسمه ماله . ثم ولى عثمان بن أبى العاص (عمان والبحرين) فمات عمر بن الخطاب رضى الله عنه للأربع بقين من ذى الحجة سنة (٢٣) وعثمان بن أبى العاص واليها .

(١) وما قيل من أن العلاء توفى سنة (١٤) فضعيف حيث أن العلاء هو الذى فتح فارساً سنة (١٧ هـ) ١ هـ مؤلف .

وسار عثمان إلى فارس ففتحها وكان خليفته على عمان والبحرين وهو بفارس أخاه المغيرة بن أبي العاص .

وروى محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال استعملني عمر على البحرين فاجتمعت لى (١٢) ألفاً فلما قدمت على عمر قال لى يا عدو الله والمسلمين أو قال عدو كتابه سرقت مال الله قال قلت لست بعد والله ولا المسلمين أو قال لكتابه . ولكنى عدو من عاداهما قال فمن أين اجتمعت لك هذه الأموال قلت خيل لى تناجت وسهام اجتمعت قال فأخذ منى (١٢) ألفاً فلما صليت الغداة قلت اللهم اغفر لعمر .

قال وكان عمر يأخذ من الصحابة ويعطيهم أفضل من ذلك حتى إذا كان بعد ذلك قال عمر ألا تعمل يا أبا هريرة قلت لا قال ولم وقد عمل من هو خير منك يوسف (قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليهم) قلت يوسف نبي بن نبي وأنا أبو هريرة ابن أميمة وأخاف منكم ثلاثاً واثنين فقال عمر هلا قلت خمساً قلت أخشى أن تضربوا ظهري وتشتبوا عرضى وتأخذوا مالى وأكره أن أقول بغير علم وأحكم بغير حلم .

البحرين فى زمن الدولة الأموية

ولم تزل جزيرة البحرين تابعة للخلفاء الراشدين ثم من بعدهم لنبى أمية. وكان فى سنة (٤٥) جعل معاوية على (البصرة) زياد بن أبيه وجمع له (خراسان وسجستان) ثم جمع له (السند والبحرين وعمان).

وظلت البحرين خاضعة لعمال الأمويين إلى زمن عبد الملك بن مروان. حيث جاءها أبو فديك الخارجى سنة (٢٧) واحتلها غلبة وانتزعها من عمال بنى أمية. فأرسل عبد الملك بن مروان جنوداً كثيرة نحوها وتقاتلوا مع البغاة حتى قتلوا (بادفيك) وقتلوا من قومه نحو (٦٠٠٠) وأسروا نحو (٨٠٠) رجل وصفت جزيرة البحرين لنبى أمية وذلك سنة (٧٣). وفى زمن خلافة عمر بن عبد العزيز أمر ببناء المسجد ذى المنارتين الذى فى (سوق الخميس) المشهور اليوم (بالمشهد) وأمر أيضاً ببناء عدة مساجد آخر فى خليج البصرة وأعجبها المسجد الذى فى (أبى شهر) فإنه فى غاية المتانة والأحكام. وهو باق إلى اليوم.

الأمراء على البحرين

وفى سنة (١٠٥) كان على البحرين الأشعث بن عبد الله الجارود من قبل بنى أمية. فخرج عليه مسعود بن أبى زبيبة ففارقها الأشعث. ثم أخذت من مسعود المذكور. وقيل بل نصب الأشعث عليها والياً من قبله. وكانت الإمارة له فيها نحو (١٩) سنة. ثم خرج عليه سفيان بن عمرو العقيلي وقاتله حتى قتل مسعوداً. وتغلب على البلدة سفيان المذكور. ثم بعد مدة تغلب على البحرين سليمان بن حكم العبدى واستولى عليها سنة (١٥١ هـ) حيث انتزعت منه كما سيأتى.

استيلاء بنى العباس على البحرين

وفى سنة (١٥١) جهز أبو جعفر المنصور على جزيرة البحرين جيشاً عظيماً تحت قيادة عقبة بن سليم فسار بهم نحوها وتواقع مع سليمان بن حكم العبدى حتى قتله. واحتل عقبة البلدة واستولى على خزائن الجزيرة. وأرسل الإسراء إلى بغداد (دار الخلافة) وعين على البحرين أميراً من قبل العباسيين وظلت جزيرة البحرين تحت تصرف بنى العباس يتعاقب عليها ولاتهم إلى سنة (٢٤٩ هـ) حيث هاجمها صاحب الزنج.

تملك صاحب الزنج للبحرين

ظهر صاحب الزنج سنة (٢٤٩) فى (سر من رأى) المسماة اليوم (سامره) ثم سار نحو الحساء وأظهر له الطاعة أهلها وانضم إليه خلق كثير فأرسل عماله إلى جزيرة البحرين وجبى الخراج منها له وظلت تحت سيطرته إلى أن أهلكه الله سنة (٢٧٠) كما بينا قصته فى (تاريخ الإحساء) فرجعت البحرين إلى بنى العباس وبقيت تحت حكمهم إلى زمن المكتفى حيث ظهر القرامطة.

تملك القرامطة على البحرين

وفى سنة (٢٨٦) عبرت القرامطة من القطيف إلى جزيرة البحرين واستباحوها وعاثوا فى الأرض بالفساد. وفى ذلك يقول ابن مقرب.

سل القرامط من شطى جماجمهم فلقاوا غادرهم بعد العلى خدما
من بعد أن جل بالبحرين شأنهم

وأرجفوا الشام بالغارات والحرما

ولم تزل خيلهم تغشى سنايكها
 أرض العراق وتغشى تارة أدما^(١)
 وحرقوا عبد قيس فى منازلهم
 وصيروا الغر من ساداتها حمما
 وأبطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا
 شهر الصيام ونصوا منهم صنما
 وما بنوا مسجداً لله نعرفه
 بل كلما أدركوه قائماً هدموا
 وظلت القرامطة عاثّة فى الأرض إلى أن هلك رئيسهم أبو سعيد
 الجنبى سنة (٣٠١) فضعف أمرهم وجعل يتقلص فيؤهم ومع ذلك فإنهم
 توجهوا نحو مكة واقتلعوا الحجر الأسود من الكعبة سنة (٣١٧) وقصّتهم
 فصلناها فى (تاريخ الحسا) وكان انقراض القرامطة تماماً سنة (٣٧١ هـ).

تغلب أبى البهلؤل على البحرين

ثم استولى على جزيرة البحرين أبو البهلؤل واسمه العوام بن محمد بن
 يوسف بن الزجاج^(٢) وسبب تغلبه عليها. هو أن القرامطة لما ضعفت أمرهم
 شرعت قبائل العرب تحاربهم من كل جانب. فقام لقتالهم بالإحساء الأمير
 عبد الله بن على العيونى. وثار عليهم بالقطيف يحيى بن العياشى. ونهض

(١) أدما - قرية فى عمان. ١ هـ مؤلف.

(٢) وكان للعوام أخ يسمى مسلماً ويكنى بأبى الوليد قلت لعل العرب الذين كانوا يحكمون
 بر قطر من رهطه لأنه يقال لهم آل مسلم. ١ هـ مؤلف.

بجزيرة البحرين أبو البهلول لأنه كان ضامناً لخراجها فشق عصى الطاعة فجهزت عليه القرامطة جيشاً من عبد القيس تحت قيادة بشر بن مفلح أحد العيونيين وأطعمتهم في استرجاع جزيرة البحرين لهم (أى لعبد القيس) فساروا جميعاً إلى موضع يقال له كسكوس أوال) فبرز لهم أبو البهلول بثبات جاش فى جموعه وتواقع معهم حتى كسرهم ودحرهم بعد معركة عنيفة قتل فيها خلق كثير.

ثم أعلن استقلاله بجزيرة البحرين وأمر بأن يخطب فيها له وقوى أمره وظلت تحت يده مدة إلى أن انتزعها منه ابن العياش كما سيأتى.

استيلاء ابن العياش على البحرين

ثم استولى على البحرين ابن العياش. وذلك بأن يحيى بن العياش لما حارب القرامطة وأخرجهم من القطيف واستقل بها اشأبت نفسه إلى أخذ جزيرة البحرين. ولكن قبل أن يبرز ذلك الفكر إلى حين الوجود داهمة الموت. فقام من بعده بالحكم ابنه زكريا بن يحيى. وجهه جيشاً عظيماً لتنفيذ فكرة والده وساقه نحو جزيرة البحرين. فاحتلوها من أبى البهلول بعد معركة شديدة. وضمت إلى حكم (الخط) وكان لزكريا للذكور وزير من أهل جزيرة البحرين يسمى (العكروت) وهو صاحب رأى وسياسة. وكان يضرب به المثل فى الشجاعة والبأس والحيل والدهاء. فطمع ابن العياش فى انتزاع الإحساء من العيونيين مغترأً بشجاعة وزيره وقائد جموعه المذكور فحشد ابن العياش جموعه وسار بهم نحو الإحساء فبرزت له العيونيون بجنودهم وتقابل الفريقان وجرت بينهما معركة شديدة أسفرت عن انكسار ابن العياش وتقهقره إلى القطيف (قصة حكمه) فتبعته العيونيون على الأثر فلم يتمكن ابن العياش من

الثبت في القطيف بل عبر بجنوده إلى جزيرة البحرين . فاحتل العيونيون القطيف ثم عبروا نحوهم وصار هذا الطمع سبباً لمحو دولة بنى العياش من القطيف كما سيأتى .

استيلاء العيونيين على البحرين

العيونيون هم عرب من قبائل الإحساء . وأول تأسيس إمارتهم هو أنه لما ضعفت القرامطة وشرعت العرب تحاربهم من كل جانب قام عبد الله بن على آل إبراهيم العيونى يحارب القرامطة فى الإحساء نحو سبع سنين حتى انتزع الدولة منهم وتملك الإحساء وما والاها وجعل يدافع كل من يطمع فيها وكان جيشه فى بادئ قيامه نحو (٤٠٠) رجل . وساعده الله بحسن الحظ حتى تغلب على القرامطة بعد معارك شديدة . ودفع من وازرهم من أهل اليمن (كبنى عامر بن ربيعة) فإنهم حاولوا سلب الإحساء من العيونيين وتبارزوا فانكسرت بنو عامر بعد معركة شديدة وفروا ناجين بأنفسهم تاركين فى ميدان الوغى سلبهم وأموالهم . وفر منهم اثنان من رؤسائهم نحو البصرة وهما (أحمد بن مسعر وأبو فراس) وفى ذلك يقول بن مقرب فى ميمته التى قالها فى بغداد سنة (٦١٣) مفتخراً بمقدميه من بنى عمه وعشيرته التى مطلعها :

قم فاشدد العيس للترحال معترماً

وارم الفجاج فإن الخطب قد فقما

إن أن قال :

حتى حمينا على الإسلام وانتدبت

منا فوارس تجلو الكرب والظلما

وطالبتنا بنو الأعمام عادتنا

فلم تجد بكما فينا ولا صمما

فسلم الأمر أهل الأمر وانتزحوا

عن سورة الملك لا زاهداً ولا كرماً

ثم لما زحف ابن العياش من القطيف نحو الإحساء (كما تقدم) برز له الأمير عبد الله العيوني بجنوده وتقابلا في موضع يقال له (ناضرة) وجرت بينهما معركة فاصلة أسفرت عن انكسار ابن العياش وتقهقره نحو قصبة حكمه (القطيف) فلحقه الأمير عبد الله يقفو أثره. قلم يتمكن ابن العياش من الثبات في القطيف بل غادره. وعبر بجموعه إلى جزيرة البحرين. فاحتل الأمير عبد الله القطيف. ووجه ابنه (الفضل) نحو جزيرة البحرين فعبر بجموعه نحوها وجرت بينهما معركة حاسمة أسفرت عن قتل (العكروت) وزير ابن العياش وقائد جيوشه. وفر ابن العياش إلى (بلدة العقير) بمن بقي من جموعه: وجعل يجمع هناك جموعاً آخر فلما تكاملت قوته سار بها نحو القطيف عله يسترجعه بعد ما فرط منه. فبرز له الأمير عبد الله العيوني هناك ودارت رحى الحرب بينهما فأسفرت عن قتل زكريا بن العياش وتفرق جموعه فأنمحت دولة ابن العياش من الخط. بسبب طمعه وغروره وإلى ذلك يشير ابن مقرب في الميمية بقوله:

ولم ينج ابن عياش بمهجته	يم إذا ما يراه الناظر ارتسما
أتى مغيراً فوافى جو (ناظرة)	فعاين الموت منا دون ما زعما
فراح يطارد طرد الوحش ليس يرى	حبل السلامة إلا السوط والقدما

فانصاع نحو (أوال) يبتغى عصما إذا يجد فى نواحى الخط معتصما
 فاقحم البحر منا خلفه ملك ما زال مذ كان للاهوال مقتحما
 فخار ملك أوال بعد ما ترك العـ كروت بالسيف للبعواء ملتزما
 وصار ملك ابن عياش وملك ابن الـ بهلول مع ملكنا عقد النانظما
 ثم تأمر على جزيرة بعد الفضل أخوه (الأمير على بن عبد الله) وفى
 زمنه هجم عليه حاكم جزيرة قيس (أبو كرزاز بن سعد بن قيصر) بجيوش
 بحرية ونزل بها فى موضع يقال له (سترة) فبرز لقتاله الأمير على وجرت
 بينهما معركة شديدة ظفر العيونيون فيها وأسروا أخا حاكم قيس واسمه (نام
 سار بن سعد) بعد أن قتل من أهل جزيرة قيس (٢٨٠٠) وفر الباقيون
 لسفنهم . وفى ذلك يقول ابن مقرب:

ويوم (سترة) منا كان صاحبه لاقت به سامة والحاسك الرقما
 الفين غادر منهم مع ثمان مئـ صرعى فكم مرضع من بعد هايتما
 وعدد الحكام من العيونيين نحو (٢٠) حاكما كانوا يحكمون الإحساء
 والقطيف وجزيرة البحرين وملحقات كل . ومدة ملكهم نحو (٣٠٠) سنة .
 (ويحكى) أن الأمير أبا سنان بن محمد بن الفضل بن الأمير عبد الله العيونى
 لما آل له الملك جاءه عامله بخراج جزيرة البحرين ذات مرة . وكان عنده رجل
 شاعر من البصريين يعرف (بالثعلبى) فأعطاه جميع الخراج وكان مبلغاً عظيماً
 فلما رأى العامل أن خراج سنة كاملة أخذه شخص واحد دفعة واحدة شهقة
 فمات غما لساعته . ولذلك يقول ابن مقرب:

منا الذى من نذاه مات عامله غمًا وأصبح فى الأموات مخترما

تغلب الزنجيين على البحرين

ثم تولى على جزيرة البحرين أبو بكر بن سعد الزنجي سنة (٦٣٣) وأعلم أن صاحب الزنج المتقدم ذكره غير هؤلاء لأن ذاك فاسق مبتدع. وأما هؤلاء فإنهم مسلمون من أهل السنة والجماعة.

وكيفية تكوين دولتهم هوانهم بعد انقراض الدولة السلجوقية تجمعوا وسكنوا في جبل (كيلويه) وأصلهم من قبجاك فتجمعوا على أخذ مملكة فارس فهاجموها وفي سنة (٥٤٣) تمكنوا من الاستيلاء على فارس وحكموا أحدهم واسمه (سنقور بن مودود) وهم الطبقة الثالثة من ملوك فارس. وفي سنة (٥٥٨) توفي سنقور وتولى بعده أخوه (أتابك بن مودود) الزنجي. وفي سنة (٥٧٢) توفي أتابك وأخذ بزمام المملكة ابنه (سعد) وفي عام (٦٢٣) توفي سعد ورقى سرير المملكة ابنه (أبو بكر بن سعد) وهو الذي وسع مملكة فارس وفي سنة (٦٢٦) حارب (جزيرة قيس) وكان بها بنو قيصر فانتزع الجزيرة منهم. وفي سنة (٦٣٣) توجه بجنده نحو (جزيرة البحرين) فاستولى عليها. وفي سنة (٦٤١) عبر إلى القطيف فاحتله وزحف بجنده الإحساء فانتزعها من أهلها. وفي سنة (٦٥٩) توفي أبو بكر المذكور وتولى ابنه (سعد بن أبي بكر بن سعد الزنجي) وفي زمنه تضعضعت مملكته وضعفت دولتهم (تنبيه) توجد بجزيرة البحرين مقاطعة كبيرة فيها نخيل تسمى (الزنج) فلعلها منسوبة إلى تلك الدولة

استيلاء المغول على البحرين

المغول هم الطبقة الرابعة من ملوك الفرس. وذلك ضعفت الدولة الزنجية: قام جنكيز خان المغولي وعاث في الأرض حتى العراق فاحتل بغداد

وملحقاتها وامتدت سطوته مع قومه إلى الخليج حتى (جزيرة البحرين). وقصته مشهورة مبسوبة في المطولات من كتب التاريخ. وكانت مدة بقاءه في الحكم (٨) سنوات وظلت الدولة فيه وفي عقبه من سنوات (٧٣٦) إلى (٧٩٥) هـ. ثم انقرضوا:

تغلب الكوركانية

على جزيرة البحرين

الكوركانية - هم الطبقة الخامسة من ملوك فارس وأولهم تيمور لنك (ومجمل قصته) هو أنه لما اقتسم التتر ممالكهم انتشرت الفتن بينهم مع بعضهم وكان ذلك سببا لضعفهم وموجبا لقيام تيمور وأمثاله. قال ابن خلدون أن تيمور ينسب هو وقومه إلى جغطاي ابن جنكيز خان. وجزم بعض المؤرخين بأن نسبه إلى جغطاي إنما هو من جهة أمه لا من جهة أبيه. وكان أول ظهوره سنة (٧٧٣) وأرخت بلفظ (عذاب) قالوا وهو أحد الدجالين الموعود بهم في الأخبار النبوية. فإنه تغلب على أكثر الممالك الإسلامية وأسرف القتل وأفسد الأرض وأهلك الحرث والنسل وكان مبدأ أمره وأمر أبيه أنهما كانا فقيرين وكان أبوه اسكافيا من قرية من أعمال كش (وهي من مدن ما وراء النهر) ونشأ تيمور جلدا قويا ذا جسم غليظ فكان لشدة فقره يسرق. فسرق ذات ليلة شاه به الراعي فرماه بسهمين أصاب بأحدهما فخذه وأصاب بالآخر كتفه فاعلبيهما فكان أعرج اليمناوين ولذلك يقال له نصف إنسان وبالفارسية (لنك) ومع ذلك لم يترك السرقة فما زال كذلك حتى اشتهر أمره وإفساده فظفر به السلطان حسين ملك (هراة) فأمر بضربه ثم بصلبه فضرب ثم تشفع فيه الأمير غياث ابن السلطان حسين المذكور. فقال أبوه أن هذا أصل الفساد ولئن بقي

ليهلكن العباد والبلاد فقال له غياث وما عسى أن يصدر من نصف إنسان وقد أصيب بالدواهي فما زال يراجع أباه حتى قبل شفاعته ووهبه له وعفى عنه . ثم أن غياث الدين اصطحبه معه وقربه وأدناه وجعله من خواصه : ثم زوجه أخته ورفعته ورقى مرتبته حتى صار من وزرائه . فلما آل الملك لغياث الدين بعد وفاة أبيه ازدادت منزلة تيمور وصار مقدما على كثير من الجند فطغى على مولاه غياث الدين . وكان مبدأ تمرد تيمور أن زوجته وهى أخت غياث الدين وقع بينها وبينه شئ أغضبه فقتلها ولم يراع حرمة مولاه أخاها . ثم لم يسعه إلا الخروج على السلطان غياث الدين وخلع الطاعة فتملك بما كان تحت يده من الجند كثيراً من الممالك حتى استصفى ممالك ما وراء النهر وذلت لأوامره ملوك الدهر . وشرع فى استخلاص بقية البلاد واسترقاق العباد . ثم أرسل إلى مخدومة سلطان هراة غياث الدين يطلب منه الدخول فى طاعته ليجازيه على إحسانه بالإساءة له فيتحقق بذلك قول النبى ﷺ (كتب الله على كل نفس خبيثة أن لا تخرج من الدنيا حتى تسيء إلى من أحسن إليها) فأرسل غياث الدين يقول له أما كنت خادماً إلى وأحسنست إليك ذيل نعمتى عليك وذلك بعد أن أنجيتك من الضرب والصلب فإن لم تكن إنساناً يعرف الإحسان فكأن كالكلب فلم يرعو بل عبر جيحون بمن معه من الجند وتوجه لمحاصرة مولاه غياث الدين (بهرآة) ولم يكن لدى المذكور قوة لقتال تيمور والوقوف دون مطامعه فحصن نفسه فى القلعة فحاصره وضيق عليه ثم أمنه وقبض عليه وحبسه ومنع عنه الطعام والشراب حتى مات جوعاً .

ثم عاد تيمور إلى خراسان فانتقم أولاً من أهل سجستان فوضع السيف فيهم وأفناهم . ثم خرب المدينة ورحل عنها ولم يزل هذا دأبه حتى خلصت

له جميع ممالك العجم وممالك فارس وفى ضمان (جزيرة البحرين) ودانت له الأمم وملوكها: كان استيلاؤه على البحرين قبل أن يحتل بغداد. وقد ذهب لمحاصرة بغداد فى ١١ شوال من عام (٧٩٥ هـ) ودخلها بعد الحصار الشديد يوم عيد الأضحى: كما بيناه فى تاريخ البصرة:

تملك البرتغال على البحرين

وفى سنة (٩٢١ هـ - ١٥١٥ م) بسط البرتغاليون نفوذهم على أغلب مدن خليج فارس وفى ضمنها (جزيرة البحرين) وبنوا غربى المنامة قلعة عظيمة تسمى اليوم (قلعة عجاج) وقد جددت هذه القلعة فى شعبان عام (٩٦٩) فى زمن وزارة جلال الدين بن مراد شاه كما هو مكتوب فى بعض جبال (جزيرة جدا) الواقعة غرب المنامة^(١).

ثم جددت ورممت من قبل البرتغال سنة (٩٩٤ هـ - ١٥٨٦ م) ورأيت هذا التاريخ بعينى مكتوباً فى أربع مواضع من القلعة. على باب دائرة لمحاسبة وعلى باب دائرة القائد. وعلى باب دائرة الصيدلية وعلى ظهر صخرة متهدمة من القلعة لم أعرف أين كان موضعها.

وقد ذهبت إلى هذه القلعة سنة (١٣٣٢) بقصد الاطلاع على ما فيها من التاريخ. وكان فى صحبتى أحمد بن الشيخ عبد الله بن شمالان وهى على مسافة ساعة للراكب من المنامة فوجدتها فى موضع مستحكم مخندق بماء البحر مشرفة على المدخلين بين جزيرتى المنامة والمحرق وهى اليوم خربة منذ أعوام ومتهدم داخلها ولم يبق منها سوى جدرانها الخارجية.

(١) وهذه صورة الكتابة التى على حجارة جبل جدا (نقل) من هذه الجزيرة مائة ألف حجر لتجديد قلعة البحرين على يد البعد فيروز فى زمن وزارة جلال الدين بن مراد شاه فى شعبان سنة (٩٦٩) هـ حرفياً مؤلف.

وكان فى سنة (٩٤٣هـ - ١٥٣٧م) حضر إلى دار الخلافة العظمى سفير من قبل صاحب (دهلى) بالهند يستنجد السلطان سليمان خان القانونى ابن السلطان سليم خان ضد همايون بن ظاهر الدين محمد الشهير ببابر صاحب دهلى .

وكذلك حضر آخر من قبل صاحب (الجوزرات) بالهند أيضا يطلب من عظمة السلطان المساعدة ضد البرتغاليين الذين أغاروا على بلاده واحتلوا أهم ثغورها . فأصدر السلطان أوامره إلى وزير مصر يومئذ (سليمان باشا) بتجهيز عمارة بحرية بثمر السويس على البحر الأحمر لمحاربة البرتغاليين (وفتح عدن) وبلاد اليمن حتى لا تستولى عليها البرتغال أو أى دولة أوربية أخرى فتصير حجر عثرة فى سبيل تقدم الدولة العلية فى جهات الشرق وقاعدة الأعمال الدولة التى تحتلها ضد مصر .

فصدع سليمان باشا بأمره وشيد عمارة بحرية هائلة مؤلفة من سبعين سفينة فى اقرب وقت سلحها بالمدافع الضخمة وسار بها عام (٩٤٤هـ - ١٥٣٨م) ومعه عشرون ألف جندى وفتح (مدائن عدن ومسقط) وحاصر جزيرة (هرمز) عند مدخل خليج فارس ثم قصد سواحل الجوزرات وفتح أغلب الحصون التى أقامها البرتغاليون هناك . ولكن أخفق أمام ثغر (ديو) بعد أن حاصره مدة ثم قفل راجعاً بالغنائم وفتح فى أيام السلطان سليمان باقى إقليم اليمن وجعل ولاية عثمانية .

ويقال أن بعض قلاع مسقط مكتوب عليها إلى اليوم أنها من بناء العثمانيين . ثم بعد ذلك زحف العثمانيون إلى (جزيرة البحرين) براً من جهة قطر فاضطر البرتغاليون إلى الانسحاب من سواحل الإحساء ومن جزيرة

البحرين ولم يبق لهم تعلق بالخليج بعد ذلك وكانت مدة بقاء البرتغال فى خليج فارس نحو مائة سنة وقد جاء فى التحفة الخليمية لصاحبها عبد الخليم الفارسى أن العثمانيين هم الذين أخرجوا البرتغال من الخليج جميعه . ثم فى أثناء اشتغال العثمانيين فى حروب أوربا استولى الشاه عباس الأول الصفوى على الجزر التى فى الخليج وفى ضمنها البحرين سنة (١٠٣١ هـ - ١٦٢٢ م) بعد أخذه جزيرة هرمز من البرتغال .

تملك الدولة الصفوية على البحرين

وفى سنة (١٠٣٩ هـ) حصل اختلاف شديد بين أمراء جزيرة البحرين وكان أكثرهم من أبناء الشيعة فرفعوا شكواهم إلى الشاه عباس الأول الصفوى وطلبوا منه الحماية لقربه منهم موضعاً ومذهباً . وهو من الطبقة السادسة من ملوك فارس وكانت عاصمته أصفهان (وهو من نسل الشاه إسماعيل الصفوى الذى نشر مذهب الشيعة فى أرض الإيران بعد أن قتل أمما وخلقاً كثيراً وأفنى كثيراً من علماء السنة وكان ظهوره وتملكه العجم يعد من الأعاجيب فانتشر أمره فى البلاد وسفك دماء العباد . وكان انتشار مذهب الشيعة فى الإيران سنة (٩٠٦) وأرخه بعض أهل فارس بلغتهم فقال (مذهب ناحق) أى هذا المذهب ليس بحق .

ولما رفع أهل البحرين ضرر ما يجدونه من بعضهم بعضاً جهز الشاه عباس الأول جيوشه ووجهما نحو البحرين تحت قيادة الإمام قوليكخان فاحتلت البلدة سنة (١٠٣٩) وهى فرصة كانت تنتظر منذ أخرج العثمانيون البرتغاليين منها .

وانضمت جزيرة البحرين إلى الممالك الصفوية . ونصبوا عليها أميراً من

قبلهم يسمى سوندك سلطان. وفي سنة (١٠٤٣) عزلوا سوندك من إمارة جزيرة البحرين وتوجه إلى إيران وقدم هدايا وتحفًا فاخرة للشاه عباس ومن جملتها سيف تيمور لك فأعجب الملك بهذا السيف فخلع عليه وأكرمه وأعادته لإمارة البحرين مرة ثانية. ثم خلفه على جزيرة البحرين بابا خان وفي سنة (١٠٧٧) رفع أهل البحرين شكواهم (للسلطان الصفوي) من تعديات بابا خان وظلمه للرعية فعزله ونصب في محله الأمير سلطان ابن قزل خان واستقام على إمارة البحرين مدة. ثم خلفه عليها الأمير مهدي قلى خان وبقي حاكمًا عليها إلى سنة (١١١٣) حيث عزل عنها لظلمه وجوره ونصبوا في محله (فزاع سلطان) وأرخ بعضهم عزله بقوله:

مهدي قلى صرفوه عن بحریننا عام الفتور وحكموا فزاعا
ملا الفجاج بيغيه وفجوره فلذا أتى تاريخه (قد زاعا)
ثم في أيام الشاه عباس الثاني خرجت جزيرة البحرين عن سيطرته
وانفصلت تمام الانفصال عن الممالك الإيرانية.

تحكم الشيخ الجبري على البحرين

وفي سنة نيف عشر بعد المائة والألف استقبل بالبحرين الشيخ الجبري. وهو من بقايا الجبريين الذين كانوا يحكمون الإحساء فانقرضت دولتهم من الإحساء سنة (٩٩٩) كما بيناه في تاريخ الإحساء.

ولما استتب للشيخ الجبري الحكم على جزيرة البحرين جعل مقره قرية يقال لها (العمر) وبنى بها قلعتين على جبلين هناك متقابلين والبلدة بينهما. وكان له وزير يسمى (الشيخ فربن بن رحال) وسكناه (الرفاع الشرقي) وبنى به

قلعة عظيمة ولتقادم السنين خربت تلك القلعة . ولما استولى الخليفون على جزيرة البحرين سكن الشيخ سلمان بن أحمد (الرفاع) وبنى على أساس تلك القلعة قلعة محكمة البناء سنة (١٢٢٧) وهى باقية إلى اليوم كما سيأتى عند آخر ذكر (وقعة أخكيكية)

ويقال أن سبب انقراض دولة الشيخ الجبرى من البحرين هو أنه كان مغرماً بالنساء لم توصف له امرأة جميلة إلا سعى فى طلبها إلى أن يتمكن منها حلالاً أو حراماً: فوافق فى بعض الأيام أن أحد جلسائه جعل يصف له امرأة بالجمال الفائق . ودقة الخصر الرائق . وقال أنها إذا استقلت على ظهرها يمكن أن تمر الرمانة من تحت خصرها فتعجب الشيخ الجبرى من ذلك وقال هل توجد امرأة أكمل حسناً مما ذكرنا . فشغف الجبرى بها وتاقت نفسه لرؤيتها ولو مرة فوجه وزيره المذكور بهدايا إلى بعض الأمراء كالعادة وبعد مضيه بعث إلى زوجة الوزير المذكور وأمرها بأن تنهياً لمجىء الحاكم إليها فى ليلة معينة وشدد الطلب عليها فى ذلك فخافت من بطشه فأجابت طلبه فلما أتى الحاكم إلى منزلها ليلاً زفت له جارية من خدمها فنام الحاكم معها حتى الصباح ظناً منه أنها هى زوجة وزيره الموصوفة بالحسن لكنه لم يجدها على ما وصفت له: فلما قدم الوزير أعلمته زوجته بما جرى وأنها قد خدعت الحاكم بزفاف إحدى الخدم . فشكرها زوجها على حين صنيعها وصيانة نفسها:

ثم لما حضر الوزير مجلس الحاكم وشرعا يلعبان الشطرنج كالعادة . فانغلب الوزير فارتجل الحاكم بهذين البيتين (من النبط):

ذيب سرى فى ظلام الليل كل شاتك

كل اللحم والشحم واروى مشاشاته

والصاحب اللى بعد تهوى مماشاته

إن ردت لاماه لا تطرى لياشاته

معرضاً فيها بقصته مع زوجة الوزير ففيهم الوزير مرمى كلام الحاكم
وتألم من ذلك. ثم أنه جد فى اللعب حتى غلب الحاكم وأظهر الوزير
السرور وأنشد أبياتاً منها:

يا من حبل للبطوط واصطاد عنقوده

ها ذاك بين الخلايق شاع مفقوده

قاصداً بها إجابة الحاكم فشعر الحاكم بالقضية وعرف بأنه خدع وتحقق
لديه ما مر بخاطره حين اضطجاعه تلك الليلة فى بيت الوزير. فحنق لذلك
وسل سيفه وجندل وزيره فى الحال. لأن المسألة وافقت للشل (لا عازه
انقضت ولا سرانكتم) فلما خبرت زوجة الوزير بقتله للقضية المذكورة خافت
على نفسها وفرت إلى دارين وشرعت فى تدبير الأخذ بثأر زوجها فأمرت
صائغاً يصوغ لها صحنًا من فضة ويجعل فى وسطه نخلا من ذهب طول ذراع
مثمرا ذلك النخل بالجواهر الفاخرة فلما كمل على أحسن ما يرام قدمته هدية
للشاه عباس الثانى الصفوى. وأغرته على استيلاء البحرين. وقالت للرسول
قل له ينظر إلى أرض البحرين وإلى شجرها وإلى ثمرها. وهذه الهدية عنوان
على ذلك (والحال أنها من امرأة) فتاقت نفس الشاه عباس للبلدة. وأمر عامله
الذى فى شيراز واسمه (الله ويردى خان) بأن يأخذ البحرين من يد العرب
فجمع (ويردى خان) جموعاً من أهل المحمرة ومن أهل القصبة وجهزهم تحت
قيادة (خاجا معين الدين الفالى) فسار بهم نحو البحرين فبرز لهم الشيخ
الجبرى بجيش مؤلف من آل أبى مهير فتقابل الجمعان وحصلت بينهما معركة

شديدة قتل فيها الشيخ الجبرى وتفرقت جموعه (فكان هو آخر الحكام من الجبريين بالبحرين) وانضمت البحرين إلى مملكة الشاه عباس .

وهكذا سمت همة هذه المرأة الفاضلة حتى أخذت بثأرها وانتصفت لنفسها ولزوجها . ولله در القائل .

فلو كان النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهِلال

حكم الشيخ جبارة على البحرين

وفى أواخر دولة السلاطين الصفوية استبد الشيخ جبارة الهولى بأمر البحرين (وهو من أعراب بلاد فارس)

وسبب ذلك أنه لما رأى الفتور فى أمر الدولة الصفوية عصى بما تحت يده من الممالك وفى ضمنها جزيرة البحرين وادعى الاستقلال بها وظلت تحت يده إلى أن قام نادر شاه كما سيأتى .

استيلاء نادر شاه على البحرين

لما ضعفت الدولة الصفوية ولم يبق من رجالها سوى طفل فى المهد يسمى (الشاه عباس الثالث) قام نادر شاه الإفشارى بالدعوة لإعادة قوة دولتهم وذلك سنة (١١٣٢) وشرع فى استرجاع بعض الممالك باسم هذا الطفل . ولما استرجع لهم معظم ما انسلخ من مملكتهم عرض الوزراء عليه السلطنة لنفسه فأبى ثم ألحوا عليه فقبلها منهم بشروط اشترطها عليهم فقبلوها منه .

وتوج بالسلطنة عام (١١٤٨) ونودى لنادر شاه ملكاً (وهو أول الطبقة السابعة من ملوك فارس المعبر عنهم بالإفشاريين) ولما استتب له الأمر أرسل

إلى عامله ميرزا تقى خان والى شبراز بأن ينتزع جزيرة البحرين من يد الشيخ جباره فامثل أمره وجهز عليها أفواجاً من عساكره واستولى عليها. وكان الشيخ جباره غائباً بمكة المشرفة. وأما نائبه على البحرين فلم يستطع مقاومة جيش ميرزا تقى الدين. ففر هارباً بنفسه واستولت عساكر (نادر شاه) على البحرين وذلك عام (١١٥٠).

وفى السنة الثانية جاء (سيف الدين حاكم مسقط) إلى البحرين وهاجمها وقتل فيها قتلاً عاماً واستولى عليها سنة (١١٥١).

ثم فى السنة الثانية وهى سنة (١١٥٢) صدر أمر نادر شاه إلى عامله محمد تقى خان وكلب على خان بأن يوجها همتها إلى قتل حاكم مسقط بأى وجه كان. فامثلاً أمره وتوجهت همتها نحوه حتى ظفرا به فقتلاه غيلة فبعد تمكن نادر شاه من الاستيلاء على البحرين وعين عليها من قبله آل مذكور كما سيأتى. ونادر شاه هو الذى أراد أن يجعل بمكة مركزاً للشيعة كما تقدم فى تاريخ مكة سنة (١١٥٧).

ولما تحقق أهل إيران بأن نادر شاه يميل إلى التوفيق بين أهل السنة والجماعة وبين إخوانهم الشيعة. ومنعهم من سب الصحابة علناً. غضبوا وأجمعوا على اغتياله فتمكنوا من قتله عام (١١٦٠) وأرخت وفاته بلفظ (غسق) وأرخها الإيرانيون بلسانهم (نادر بدرك رفت) بحذف ألف نادر.

فصل
في إمارة آل مذكور
على البحرين

ولما استتب الأمر لنادر شاه على البحرين جعل عليها من قبله الشيخ غيثاً وأخاه الشيخ ناصر آل مذكور. ويقال أن نادر شاه هو الذى أمر ببناء القلعة الواقعة جنوب المنامة المسماة اليوم (قلعة الديوان) التى كانت داراً للحكومة يومئذٍ.

وبقى الحاكم فى البحرين لغيث وناصر إلى أن توفيا. فقام من بعدها أخوهما الشيخ نصر آل مذكور. ثم استبد بالحكم وصارت البحرين فى زمنه خاضعة لمملكة فارس اسماً فقط إلى أواخر دولة. (الزنديين) وأول دولة "القاجاريين" أما دولة الزنديين فهم الطبقة الثامنة من ملوك فارس وأولهم كريم خان الزندى الذى حاصرت جنوده البصرة واحتلتها سنة (١١٨٨) كما بيناه فى تاريخ البصرة.

وأما دولة القاجاريين فهم الطبقة التاسعة من ملوك فارس وأولهم محمد خان الخصى. قيل ولد خصياً وقيل أن عشيرته خصته بسقيه دواء مفترى لآلة التناسل لقطع نسله رغبة فى الملك من بعده وكانت مدة حكمه "١٣" سنة.

ثم فى سنة "١١٩٧" حصل اختلاف بين أهل الزبارة وسكان جزيرة البحرين فاضطر الشيخ نصر آل مذكور بأن يزحف بجيشه على الزبارة وساق جنوده نحوها يقودها بنفسه وتواقع مع آل خليفة وجرت بينهما معركة فاصلة أسفرت عن انكسار الشيخ نصر وفراره إلى أبى شهر مخذولا. وترك البحرين فيضويه فذهب إليها الخلفيون واستولوا عليها وعادت البحرين لأهلها العرب بعد ما نزعها منهم الشاه عباس "زمن الشيخ الجبرى" كما تقدم.

ثم إن الشيخ نصر آل مذكور استغاث بحكومة شيراز فلم تلتفت له
لضعفها يومئذٍ. وذلك في أواخر دولتها. وأما كيفية استيلاء آل خليفة على
البحرين والسبب في ذلك فسأذكره إن شاء الله مبسوطاً في الباب الثالث.
